المغرب يستضيف افتراضيا مسارح جامعية عالمية

الدار البيضاء - تنظم عن بعد، في الفترة الممتدة ما بين 21 و27 ديسمبر الجاري، الدورة 32 للمهرجان الدولي للمسرح الجامعي في الدار البيضاء، تحت شعار "المسرح والحلم".

وأوضح المنظمون في بلاغ لهم أنه "بعدما اعتادت الدار البيضاء أن تحتفي بعرس مسرحها الجامعي مع إطلالة الصيف وانتهاء الموسم الجامعي، بدءا من 1988، أدت الظروف الاحترازية التي يعيشها العالم حاليا، إلى تأجيل الدورة 32، لتقرر اللجنة المنظمة أن تقيمها في الفترة الممتدة من 21 إلى 27 ديسمبر 2020، عن بعد".

وأضاف البلاغ أن تنظيم هذه الدورة عن بعد يجسد إيمان منظمي المهرجان بأهمية "استمرارية هذا المشروع الفني والثقافي والتواصلي بين شباب العالم"، مشيرين إلى أن هذا الحدث يسهم في خلق "مؤتمر فوق العادة تناقش وتتصاهر وتتلاقى فيه الثقافات".

إضافة إلى العروض المسرحية يقدم المهرجان ورشات تكوينية ونقاشات لمحور «المسرح والحلم»

وينتظر أن تعرف الدورة 32 من المهرجان الدولي للمسرح الجامعي مشاركة عدة دول عبر العالم، منها بالخصوص المكسيك وفرنسا ولبنان وتونس وفلسطين وسوريا، إلى جانب ساحل العاج وكوريا الجنوبية وإيران وألمانيا واليونان والمغرب.

وإضافة إلى العروض المسرحية، يتضمن برنامج الدورة تنظيم ورشات تكوينية، ومائدة مستديرة لمناقشة محور الدورة التي ستحتفي بالمسرح والحلم.

وأبرز المنظمون أن اختيار هذه التيمة شعارا للمهرجان يعكس الرغبة في "تحقيق دورة حالمة تترافع من أجل الحلم ومع الحلم وبالحلم، لاسيما وأن المسرح له علاقة جدلية بالحلم، بصفته إبداعا إنسانيا يوظف المخيال وآليات الحلم في كل أبعادها، وصولا إلى تحقيق حلم العرض المسرحي، الذي كان فكرة ثم رؤية، ومر من مراحل حالمة متعددة إلى أن أصبح فرجة تحلم بالتواصل مع المتلقي".

واعتبروا أن الدورة الحالية من مهرجان المسرح الجامعي، بصيغتها الجديدة، هي "دورة جديدة ومتميزة ومختلفة ستقام عن بعد بإحساس القرب، وستلتزم بالمعهود المهرجاني".

وأكدوا في البلاغ ذاته، أن المهرجان سيحافظ، مع ذلك، على بنيته العامة المنسجمة مع أهدافه المتمثلة أساسا في خلق فضاء للتكوين واللقاء والتعارف بين شباب العالم، والإسهام في جعل مدينة الدار البيضاء ملتقى للفنانين والمبدعين ومحبي الفرجة المسرحية من كل بقاع العالم.

ولفتوا إلى أن الاستثناء هذه السنة، يتمثل "في أن هذا الحدث والتفاعل سيكون عن بعد لنواصل الرسالة، ولإعطاء صورة طيبة عن المغرب كبلد للانفتاح والتسامح والتعايش بين الثقافات والديانات. كما اعتادت كل الدورات".

وسيخصص المهرجان تحية تقدير وامتنان لفعاليات وطنية ودولية ساهمت بخدماتها الجليلة في المجال الفني والثقافي والمسرحي تحديدا، من خلال لحظات اعتراف وتكريم واستحضار.

وأشاروا إلى أن "هوية المهرجان، باعتباره مشروعا ثقافيا جامعيا، تؤسس لثقافة تفتح آفاقا عالمية لشبابنا بإعطائه فرصة الانفتاح على الآخر والتفاعل معه، والإقبال على كل الممارسات والإبداعات الفنية، ومنها المسرح، لاكتساب مهارات شخصية ومهنية تفتح لهم فرص الانخراط والمساهمة في كل المشاريع والأنشطة التنموية في البلد".

كما يواصل المهرجان انفتاحه الفني والثقافي على مختلف الجامعات المغربية وعلى العالم، الأمر الذي يجعل منه فاعلا مهما في كل التحولات والتطورات التي عرفها المسرح داخل المغرب وخارجه، على مستوى الرؤية والتقنية والتدبير، وأيضا على مستوى الدراسة والبحث والإبداع.

واستطردوا أن "الرغبة في تطوير ونجاح الممارسة المسرحية داخل الجامعة المغربية هي الهدف الذي يحفز المنظمين على السير قدما بالمهرجان لضمان استمراره وتوسيع مجال إشعاعه باعتباره وجها مشرقا للفنون بالمغرب، يعطي صورة طيبة عن الجامعة المغربية باعتبارها فضاء للإبداع والخلق والانفتاح على العالم بكل مكوناته".

يضاف إلى هذا الدور الفعال الذي يقوم به المهرجان، المنظم من طرف كلية الآداب والعلوم الإنسانية بن مسيك، جامعة الحسن الثاني- الدار البيضاء، في تنشيط دبلوماسية ثقافية جامعية موازية، من شأنها التعريف بالمغرب وبمختلف مظاهر نموه وتقدمه.

ونذكر أن الدورة 31 من المهرجان الدولي للمسرح الجامعي كانت تحت شعار "المسرح والتغيير" وانتظمت في الفترة من 2 إلى 7 يوليو 2019، واستقبلت مسرحيات من جميع أنحاء العالم، عكست انفتاح المغرب وجامعته على جميع التجارب وعلى كل الثقافات والتغيرات والتحديات التي يعرفها العالم الحديث. كما كرم المهرجان أربعة أسماء مسرحية بارزة في الساحة المغربية هي الممثلة زهيرة صديق، المخرج بوسرحان الزيتوني، المسرحي رشيد فكاك والمسرحي والإعلامي إدريس الإدريسي.

مسرح يشرع نوافذه على الآتي من الزمن

أمة تحتفي بالموت وتحتفل بالجنائز (لوحة للفنان سمير الصفدي)

العرب أمّة تحتفي بالموت وتخاصم الأحياء

غيابُ المبدع أصبح عنوانا لحضوره في الواقع الثقافي البائس

ما أن ينتشر خبر رحيل مبدع ما، حتى يتهافت مبدعون آخرون إلى التباكي على فراقه، وقد يصل الأمر إلى حدّ الاحتفاء به راحلا من قبل المؤسسات الرسمية والنقاد والمواقع الإعلامية وغيرها، بينما لا يلقى هذا المبدع وهو على قيد الحياة إلا الإنكار والتهميش وحتى التضييق والقتل الرمزي من المبدعين والمؤسسات الرسمية، ظاهرة تبدو غاية في الغرابة.

شريف الشافعي
كاتب مصري

القاهرة – لماذا لا ينال مبدعون ومثقفون كثيرون في حياتهم ما يستحقونه من تقدير وتكريم، فيما يتحوّل موتهم إلى كرنفال صاخب للاحتفاء بهم، ويصير غيابهم بداية للالتفات إلى حضورهم، واحتضان أرواحهم، وملامسة أعمالهم بالتحليل والإشادة؟

سؤال يكرر نفسه مع كل فقد مُفجع في أي دولة عربية، وبدا في مصر ظاهرا للجميع، ولم يكن أوّله ترجُّل أمل دنقل ويحيى الطاهر عبدالله ومحمد عفيفي مطر منذ سنوات، ولن يكون آخره رحيل الكاتبين بهاء عبدالمجيد ومنار فتح الباب منذ أيام قليلة، ومن قبلهما الشاعران شريف رزق ووسام الدويك والكاتبة نجوى شعبان، وآخرون.

هل تفتح المغادرة باب المحبة على هذا النحو من التدفق المشحون بالمصداقية، والممسوس باللوعة، والمغلف أحيانا بالهستيرية والمبالغة والرغبة في جلد الذات؟ وأين كانت هذه الفيوضات الجارفة والمشاعر النبيلة والإشارات الإيجابية، في وقت كان فيه الأديب يصارع وحده طواحين الهواء، ولا يجد غير الإحباط والتهميش والتقزيم، وربما المحاربة وإهالة التراب على خطواته وطموحاته وأعماله، ألم تكن كلمة صدق، أو حتى مجاملة، كافية لتنير له عمرا إضافيًا؟

دائرة المعادلات

الأمر ليس بسيطا، ولا يمكن تلخيصه في عامل واحد فقط، هو أننا باختصار أمة تحتفي بالموت والتحنيط، وتحتفل بالجنائز والتوابيت والمومياوات، وتخاصم الأحياء، وتتفادى الإفراط في مواكب الأعراس وموائد البهجة والفرح، وتبدع في المراثي أكثر من المدائح.

ربما شكّلت تلك النزعة إلى تقديس الموت وإعلاء شأنه، بما له من تمثّلات عقائدية وامتداد تاريخي منذ الحضارة الفرعونية إلى يومنا هذا، أحد خيوط هذه الظاهرة تتعلق بشكل مباشر بالواقع الثقافي المصري والعربي البائس، هي التي لها التأثيرات الأهم بالتأكيد في جعل غياب المبدع عنوانا لحضوره.

تأتي لحظة الموت وحدها، وما أقصرها، خارج حسابات الوسط الثقافي المعقدة، ودائرة معادلاته الانتفاعية المحكمة، أما ما قبلها وما بعدها من أيام وسنوات، فهي أوقات رهينة للمعايير والملابسات التي تحكم المنظومة الثقافية برمّتها، ويصعب الفكاك من أسرها.

الشاعر أمل دنقل (1940–1983) على سبيل المثال، المغضوب عليه من الرئيس الراحل أنور السادات بعد ديوانه "لا تصالح" المعارض لاتفاقية كامب ديفيد، هو شاعر منفيّ بالضرورة خارج بؤرة الضوء في حقبة السبعينات التي كان أبرز أصواتها بلا منازع، لكنه حال وفاته في عهد الرئيس حسني مبارك صار الالتفات إلى قيمته ملائما لسياسة تنفيس جديدة، ومفادها ليقل كلّ ما يريد أن يقوله، فلن يتغير شيء.

وبعد ذلك بسنوات، صار التمسّح بتجربة دنقل (الشاعر المشروع) غرضا انتفاعيًا بحدّ ذاته، يمارسه نقّاد وسلطويون يدافعون عن "شاعر الرفض"، الذي تحوّل الاقتراب منه من جريمة إلى غنيمة (مقالات جابر عصفور عن صديقه القديم نموذجا)، بل إن أرفع مؤسسات الدولة في مصر راحت تكرس لمؤتمرات تخصصية باسم الشاعر الراحل الذي لفظه النظام حيًا. على نحو مشابه، فإن الشاعر محمد عفيفي مطر (1935–2010)، قد لقي الأمرّين على مدار مشواره، فعلى المستوى الفني تعرض للهجوم المتواصل على مشروعه الشعري التجديدي الحداثي، الذي فارق فيه التوجه الرسمي السائد لدى مجايليه الستينيين، متمردا على الجماليات المستقرة والرؤى المتعلقة بالثوابت والأحلام القومية والقضايا الكبرى الخاسرة، منحازا للفردانية والتشظي ولغة التمزق والشتات المتسقة مع انهيار الأبنية والأنساق من حوله.

على المستوى الفكري والأيديولوجي، تعرض عفيفي مطر للاعتقال وللمضايقات طويلا بسبب مواقفه الرافضة للحرب على العراق وغيرها من القضايا، وحُرم من حقه الطبيعي في نيل المكانة الأدبية كشاعر طليعي رائد، ومُنع من الجوائز وصور التكريم اللائقة.

لكن لحظة وفاته جاءت كالعادة استدرارا للدموع والتصفيق، برعاية من تجاهلوه وخذلوه أنفسهم، حيث لم يعد من الخطورة تناول دوره وتجربته والاحتفاء بمنجزه الشعري، بل والانتساب إلى أبوّته، وتصدت الهيئة المصرية العامة للكتاب لنشر أعماله، فيما وهو حي كان يلجأ عادة إلى نشر دواوينه خارج مصر.

ادعاء الموضوعية

بعيدا عن علاقة الأديب بالخطاب الجمالي والاجتماعي والسياسي، فإن حسابات الوسط الثقافي ومعادلاته النفعية تتمثل كذلك في كل ما هو خارج الفئيات المجردة، فإدارة الثقافة من جانب الموظفين وغير الموهوبين جعلت أدواتها وقيمها تقوم على المصالح المتبادلة، والأمور الشخصية، والانتفاعيات.

من هنا يمكن تفسير تهميش مبدعين وكُتّاب مهمّين من غير البارعين في هذه العلاقات، من أمثال الراحلين: الشاعر والناقد شريف رزق، والشاعر والمصور وسام الدويك، والقاصة والروائية نجوى شعبان، ومن هؤلاء بهاء عبدالمجيد أستاذ الأدب الإنجليزي، والروائية والكاتبة منار فتح الباب، اللذان رحلا منذ أيام قليلة، وكانا ينتجان أعمالهما الإبداعية في الظل الهادئ المنسيّ، وتحول موتهما المباغت إلى احتفال انفجاري عبر السوشيال ميديا ومواقع الإنترنت.

> مشهد الموت عاطفي ومثالي ليسعى المقصّرون في حق المبدع والمساهمون في اغتياله لتقديم أنفسهم كمنتحبين على غيابه

في لحظات المغادرة المؤثرة، خصوصا إذا كان الأديب الراحل من الشباب ومن ذوي القدرات الفنية والسمعة الطيبة، فإن حالة الصدق التي يفرزها الأحبّاء والمقرّبون منه والعارفون بطبيعته الإنسانية وأهميته الإبداعية، ينقضّ عليها أيضا دخلاء ومتاجرون وراغبون في غسيل السمعة.

كما أن القائمين على المؤسسات وإدارة الفعل الثقافي لن يتكلفوا شيئا بإصدار مرثيات ساخنة وتصدّر مراسم العزاء، فبالادّعاء يمكن تعويض قدر من الموضوعية الغائبة، وربما كسب تعاطف المتابعين، ومحاولة تبرئة الذمة، وتقليل الشعور بالذنب بتطهير الذات ظاهريًا.

ليس هناك ما هو أكثر من مشهد الموت عاطفية ومثالية ليسعى المقصّرون في حق المبدع، وربما المساهمون في اغتياله المعنويّ قبل الجسديّ، لتقديم أنفسهم أمام الرأي العام كمنتحبين على غيابه، ومدافعين عن أعماله، حتى إذا بردت اللحظة، انفضّ المجلس، ومضى كل مسؤول إلى كرسيّه، يراجع ملفاته الأخرى المعتادة.

من حق المبدع أن ينتشي بوهج الحياة وخصوبتها وعنفوانها، وأن يكون له تاج يلبسه، لا وردة تُزرع عند قبره، لكن هذا الحق له فاتورة يجب أن تُدفع بإنصاف، دون تلفيق وإغراض، وما أصعب أن يحدث ذلك وأندره، فالصراعات والتناحرات و"الشللية" لم تترك مجالا ثقافيًا إلا طالته ولوّثته، بما في ذلك الجوائز والشهادات والدروع وأوجه التكريم المختلفة.